

الرسالة الملكية السامية الموجهة إلى المشاركين في الندوة الإسلامية الدولية حول موضوع "المرأة المسلمة والعلوم"

فاس - 22 مارس 2000

"الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه".

حضرات السيدات والسادة؛

يسعدنا أن نعرب لكم، مع أطيب تحياتنا، عن الابتهاج الكبير الذي يغمرنا ونحن نخاطبكم في مفتتح هذه الندوة الإسلامية الدولية التي تنعقد في العاصمة العلمية لمملكتنا، والتي تعالج موضوعا جوهريا وملحا وذا أهمية قصوى، إذ يتناول " المرأة المسلمة والعلوم". وذلكم في إطار التعاون القائم بين المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة " إيسيسكو" والاتحاد الدولي للمرأة في العلوم وبعض المؤسسات الجامعية في بلادنا.

وإنه لشعور نابع من التقدير العميق الذي نوليه للمعاني النبيلة التي يمثلها هذا اللقاء العلمي الذي يجمع صفوة من المتخصصين في مختلف فروع العلوم البحتة والتطبيقية، عالمات وعلماء وفدوا على المغرب من أقطار شقيقة وصديقة، تحذوهم رغبة أكيدة في أن يغنوا موضوعه بالنير من أفكارهم والحصيف من آرائهم، وأن يبحثوا، بروح الفريق المتآزر وفي جو الزمالة الصافي، مختلف القضايا ذات الصلة بدور المرأة العلمي في تنمية المجتمعات الإسلامية، مستشرفين آفاق المستقبل الممتدة أمام المرأة المسلمة في هذا المجال الذي يتوقف تطور الأمم وتقدمها على مدى التفوق في جميع أصنافه وعلى مستوى الإبداع في سائر معارفه.

إن اختيار المغرب مقرا لانعقاد هذه الندوة يبعث في نفوسنا الرضى والارتياح، إذ يواكب مطامحنا والغايات التي نسعى إليها لتنبؤ المرأة الموقع اللائق الذي هي جديرة به. وهو يقوي فينا الثقة والاطمئنان بأن تطور المرأة في المجتمعات الإسلامية قد أخذ اتجاهه السوي السديد، واستقام على النهج القويم الرشيد، لأن التقدم الحق، أي الذي يبني الإنسان وينشأ التمدن ويحقق العمران، ينطلق أساسا من قاعدة العلم في مختلف شعبه ومجموع قيمه، ليتابع المسير في الخط اللاحب الذي لاعوج فيه، والذي من شأنه أن يفضي إلى المستقبل المشرق الباسم وما يرجى فيه من ارتقاء متألق دائم.

حضرات السيدات والسادة؛

إن للمرأة في تاريخ ثقافتنا وحضارتنا منزلة رفيعة تستمدتها من مبادئ ديننا الحنيف الذي ساواها مع الرجل في الحقوق والواجبات، واعتبرها شقيقة له في الأحكام، وفتح لها أبواب العلم والمعرفة دونما قيد أو شرط وفي غير

حيف أو ضغط، مما أحلها في عصور الازدهار أسمى الدرجات، وأنزلها أعلى المقامات، ومكثها من المشاركة بفعالية في النهضة العلمية الإسلامية، والمساهمة بإيجاب في إقامة صرحها الشامخ الذي عد بحق مثالا متفردا بين الثقافات والحضارات الإنسانية، والذي كان للعالمات المسلمات في تشييده أثر ظاهر وواضح منذ العهد النبوي الكريم، على نحو ما قامت به كثير من الصحابيات الجليلات وأمّهات المؤمنين، رضوان الله عليهم، في تبليغ الدعوة وتلقين مسائل الفقه ورواية الحديث الشريف.

ولا بدع، فإن مما يجدر تأكيده في هذا المقام، استيحاء من موضوع الندوة والتقاء مع أهدافها، أن الاسلام - كما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم - قد جعل "طلب العلم فريضة على كل مسلم"، ذكرا كان أو أنثى، وأنه لم يقيد العلم أو يحصره في مجال دون آخر، ولم يحجر على المرأة في طلبه وتحصيله أو تعميقه وتكميله، اعتبارا للعلاقة الوطيدة بين المعرفة والعقيدة ولما هو مطلوب فهما من المسلم والمسلمة على السواء، مما يُجَلِّيه التفضيل الذي خص الله به ذوي العلم في قوله الكريم: "هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون". بيد أن الواقع يكشف - بأسف شديد - أن المرأة، في معظم المجتمعات الإسلامية، لم تنل حقها الذي يوجبها لها الشرع، ولم تسنح لها الظروف المواتية لأداء وظيفتها الاجتماعية ورسالتها العلمية بالقدر الذي به يكون تماسك المجتمع وتتوافر مقومات نهضته. وهو وضع سلبي غير معزّوٍ إلى نقص أو ضعف في التشريع، ولكنه ناتج عن تقصير وخلل في تطبيق المبادئ السامية التي جاء بها الاسلام لتمكين المرأة من القيام بواجباتها، في إطار منظومة متلاحمة العناصر، مترابطة الحلقات من الأحكام الشرعية والقيم العليا والمثل الرفيعة والمعايير الضابطة لسير الحياة.

حضرات السيدات والسادة؛

إن الاهتمام بإبراز الدور العلمي للمرأة المسلمة، من خلال بحث حقوقها العلمية من منظور الدين والثقافة والمجتمع وبرؤية مستقبلية، لهو من أقوم السبل المؤدية إلى النهوض بهذا المجتمع ليحقق ما يتطلع إليه من نمو عام شامل يكون فيه للمرأة إسهام تام كامل. ذلكم أن العناية البالغة بتطوير العلوم والحرص الشديد على تحديث المعرفة هما الأساس المكين للتفوق في مضمار الإبداع الثقافي والحضاري والتميز في حلبة سباقه، إضافة إلى أنهما الوسيلة الناجعة للتغلب على المشكلات التي تعترض طريق الأمم والشعوب نحو التنمية المتكاملة المتوازنة والإزاحة المعوقات التي تحول دون الإقلاع في هذا المضمار بخطى متتدة ومسيرة مأمونة.

لذا فإنه غدا لازما أن تشرع أبواب العلم أمام المرأة وأن توفر لها أسباب الأخذ به والإبداع فيه، لاسيما في حقوله البحتة والتطبيقية، لأن العلم قوام الوجود في هذا العصر ولأن المستقبل مرهون بامتلاك ناصيته وحسن توظيفه. وليس أمام العالم الاسلامي من وسيلة لتجاوز كثير من الصعاب التي تواجهه في سوح التشييد والبناء، وميادين التطور والنماء سوى إشراك المرأة في تنمية المجتمع علميا وعمليا، بإتاحة أكبر الفرص أمامها، ليس فقط لنيل قسط من التعليم مهما يكن هذا القسط كبيرا ووافرا مع الحاجة إلى تعميمه حتى يكون للفتاة القروية حظ مناسب منه، ولكن كذلك لإظهار تفوقها العلمي وكذا لتطوير مهاراتها وترقية ملكاتها، ثم لممارسة دورها في صنع التقدم وفي صياغة المستقبل على أفضل الوجوه.

ولقد أحسن القائمون على هذه الندوة صنعا حين جعلوا من ضمن المحاور التي ستبحثها محورا حول التمييز الذي تعانيه المرأة في ميدان العلوم والتوظيف، ومحورا ثانيا حول تحسين أوضاع المرأة المسلمة لتجاوز هذه المعاناة. وإننا لنرى أن هذا الضرب من التمييز هو من آثار عصور التراجع الثقافي والتقهر الحضاري، وأنه مما يتعارض مع المرجعية الإسلامية وإن كان قد تمكن واستقر في بعض الأذهان.

ولقد آن لنا اليوم، ونحن ننشد التحديث والتجديد على دعائم ثابتة وأسس قوية ونعمل صادقين من أجل التقدم بمجتمعاتنا، أن نصلح هذا الوضع بالاتزان اللازم والحكمة البالغة، وأن نقوم مسلكه بالعقل الراجح والحجة الدامغة. وهو ما لا يتسنى إلا بتناول قضايا المرأة في سياق توجه صحيح قويم، ومعالجتها برؤية واضحة ومنهج سليم، مسترشدين بتعاليمنا الدينية السامية الحاثثة على طلب العلم النافع بلا قيود، والداعية إلى العمل على تطوير الحياة وتحسين الوجود، في نطاق التكريم الذي أنعم الله به على الإنسان، وفي حدود الأمانة التي أناطها به، محملا إياه مسؤولية رعايتها، لا فرق في هذا بين الرجال والنساء، كل في دائرة امكاناته والتزاماته، إذ "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"، وفق ما علمنا الرسول الأكرم، صلوات الله وسلامه عليه.

حضرات السيدات والسادة؛

إن من المؤشرات الدالة على انتظام مسيرة العلم في العالم الإسلامي وضع "استراتيجية تطوير العلوم والتكنولوجيا في البلدان الإسلامية"، وهي التي تم اعتمادها من قبل مؤتمر القمة الإسلامي في دورته الثامنة المنعقدة بالعاصمة الإيرانية "طهران"، في شهر ديسمبر من عام 1997. وإن هذه الاستراتيجية التي خطتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة "إيسيسكو"، بتنسيق مع اللجنة الدائمة للتعاون العلمي والتكنولوجي المنبثقة عن مؤتمر القمة الإسلامي، لتشكل إطارا نظريا ملتئم الجوانب للنهوض بالبحث العلمي وللأخذ بأسباب التقدم التكنولوجي على صعيد العالم الإسلامي، مما يعد مكسبا ثمينا لهذا العالم يقتضي حسن استثماره ليحقق أهدافه ويقود إلى الازدهار المنشود.

ولنا اليقين أنه في آفاق هذه الاستراتيجية المحكمة وأبعادها الجامعة ستجد المرأة المسلمة إن شاء الله أرحب مجال وأوسع إمكان للإسهام في تنمية المجتمع، عن طريق أداء رسالتها العلمية على نحو صحيح وفاعل، كشقيقها الرجل. وإنه لمن حسن الطالع أن يكون الجهاز المبادر إلى هذه الاستراتيجية وهو المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة قد انطلق برعاية والدنا المنعم جلالة الملك الحسن الثاني نور الله ضريحه، من حاضرة فاس، هذه المدينة العريقة التي كانت على امتداد عهود الازدهار - ككثير من حواضر المغرب وبواديه - معقلا للعلم وموتلا للمعرفة وموطنا لأفذاذ الفقهاء ونوابغ الحكماء، وكان من بينهم نساء فضليات ذوات سبق وريادة وتبريز في تخصصات شتى، مما تنطق به صحائف التاريخ الفكري للمغرب ويشهد له السجل الإنساني للثقافة والحضارة.

وسعيا إلى إحياء هذه المفاهيم والأفكار، وتحفزا إلى بناء مغرب قوي متقدم قادر على حل مشكلات العصر ورفع تحديات المستقبل، فإننا ما فتئنا نحرص على تعليم الفتاة المغربية ونشجع ولوجها بمختلف ميادين العلم والحياة،

سالكين نهج والدنا المكرم طيب الله ثراه، ومقتدين بجدنا المقدس جلالة الملك المغفور له مولانا محمد الخامس الذي كان له - في غمار معركة التحرير - فضل تأسيس هذا التعليم واحتضانه.

حضرات السيدات والسادة؛

إننا لنود في ختام رسالتنا إلى هذا اللقاء العلمي الحافل أن نجدد الترحيب بالشخصيات المرموقة المشاركة فيه وأن ننوه بمبادرة الايسيسكو إلى تنظيمه، متعاونة مع جهات اختصاص موقرة، وأن نغتتم مناسبة انعقاده لنهيب بالأسرة الإسلامية الكبرى أن تولي موضوع مشاركة المرأة في النشاط العلمي والمعرفي والحياة العملية عامة فائق الانشغال والعناية ووافر الاهتمام والرعاية، سائلين الله تعالى أن يعيننا جميعا على إدراك مقاصدنا وتحقيق خير أمتنا، وأن يجنبنا الزلات والعوائق والعثرات، وأن يلهمنا الحكمة والرشاد، إنه ولي التوفيق والسداد.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.